

العملية التعليمية التربوية – التوازن في عربة أنشطة

يُتّصف التعليم والتدريب، في مستواه الأساسي تماماً، بالتفاعل الذي يحصل ما بين الطالب والمعلم. ثمة أمور أخرى كثيرة تدخل في هذه العملية، مثل تحضير المواد الدراسية، وتحديد طرق التعليم، وغيرها. ومع هذا، فحتى هذه الأمور تتحدّد، بطرقٍ ونواحٍ عديدة، بطبيعة التفاعل ما بين الطالب والمعلم. وفي هذا التفاعل، يقود المعلم الطلاب. هذه العملية قيادة تعليمية تربوية.

ينبغي للقائد التعليمي التربوي الفاعل أن يستخدم نمط القائد الخادم،¹ وهو نمط يسمح بأن يكون المعلم قائداً كاريزماتياً ومرجعياً، ولكنّه في الوقت نفسه يسعى إلى خير المتعلّمين وإدماجهم في عملية التعلّم. كما ينبغي للمعلم المُدرّب أن يوازن ما بين التوقعات التي ترى المُعلّم باعتباره المرجعية ذات السلطة وممارسات التطوير المنطقية التي تُشرك الطلاب بشكل تعاوني في عملية التعلّم.

الشورى والسلطة (مؤشّر مسافة السلطة)

إن كان المعلمون هم المرجعية ذات السلطة، وهم كذلك، فإنّ الحكمة التي يقدّمونها حكمة فيهم، وبالتالي تكون حقاً شخصياً.² يقف هذا على نقيض الدرجة المنخفضة في مؤشّر مسافة السلطة، مثلما يُرى في الغرب، حيث الحقّ منفصل عن المعلم، ويُنظر إليه بأكثر تجريد باعتباره مجموعة من الحقائق الموجودة في مكانٍ ما "هناك". طبيعة الغرف الصفية ذات الدرجة العالية في مؤشّر مسافة السلطة تؤثر بصورة سلبية على عملية التعلّم بطرقٍ كثيرة. ولكن ينبغي أن نفهم

¹ Sarayrah, Yasin Khalif. 2004. "Servant-Leadership in the Bedouin-Arab Culture." *Global Virtue Ethics Review* 5, no. 3: 58-79.

² المرجع السابق.

هذه السمة وتُحترم في سياق دراسة وتعلّم البالغين الكبار. يمكن لحماية هذه العلاقة بطريقة محترمة أن تساهم إيجابياً في عملية التعلّم.

الاعتقاد بأن الحقّ موجود عند الأستاذ/ المعلمّ اعتقاد يحترم علاقة تتسم بدرجة عالية في مؤثّر مسافة السلطة. ويمكن للاعتقاد أن الحقّ أمرٌ شخصي بأن يعزّز علاقة دافئة شبيهة بعلاقة الشورى ما بين المتعلّم والمعلّم. وكما أن الأب هو المرجعية والسلطة التي تحمي تماسك وحدة العائلة، فإن المعلمّ، باعتباره المرجعية والسلطة، يؤمّن الاستقرار للمجموعة. يعطي هذا هيكلية (تقبّل متدنٍ للغموض)، وهي ما يرغب به الطلاب. ومن شأن هذا أن يعزّز المنصب بوصفه السلطة. يفضل كلا الطرفين في عملية التعلّم هذا الوضع. يمكن للعلاقة القائمة على نمط الشورى أن تساهم بصورة إيجابية في بيئة تعلّمية مثمرة.

ينبغي للتعليم والتدريب الفاعلين أن يحترم القيمة التي تُعطىها الثقافة للمعلّم باعتباره المرجعية ذات السلطة. وفي الوقت نفسه، ينبغي له أن يوازن هذا الموقف مع الحاجة لشمول المتعلّمين البالغين في عملية التعلّم (التعاون). ينبغي المحافظة على هذا التوازن بأمانة من أجل الوصول إلى عملية تعلّمية فاعلة.

التوازن ما بين:

المعلّم بوصفه المرجعية → ← التعاون مع الطلاب

يلطّف منظور الشورى في القيادة فكرة كون المعلمّ هو المرجعية الوحيدة الذي لديه كل الإجابات. إنّه يُخالف النهج القائل بمركزية المعلمّ في الصف والعملية الدراسية. فهو يسمح بوجود النقاش في الصف، مما يعطي الطالب دوراً في العملية التعليمية. وبمعنى ما، يتشاور هذا النهج مع الطالب ليستمع إلى ما يريده. هذا مبدأ تعليمي تربوي أساسي في تعليم البالغين الكبار. ومع هذا، فهو لا يضع كامل العملية في يدي الطالب، إذ يبقى دور المعلمّ رئيسياً ومفتاحياً. يحترم التعليم بالشورى مبدأ رغبة البالغين في أخذ المبادرة في عملية التعلّم. ومع هذا، فهو نهجٌ يُدرك أن المعلمّ أو

المُشرف الموجّه يقود الطالب، وأنّ لدى المعلّم الكثير ليقدمه. القائد المتمحور حول المجموعة (الطلاب) قائد كاريزماتى (مرجعية/ سلطة) وتشاركي (الشورى).

المعلّم/ المدرّب الذي ينتهج الشورى يمارس القيادة الخادمة التي تسعى إلى خير طلابها. المعلّم الذي يقود بنمط الشورى يعلم لأجل خير ومنفعة طلابه. إنّه يأخذ احتياجاتهم في الاعتبار. إنّه يفكر بكيف يمكن تعليم الموضوع بطريقة تسدّ احتياجاتهم. يصوغ هذا المعلّم الموضوع ونمط التعليم من أجل منفعة طلابه.

كما تستمع قيادة الشورى إلى أتباعها. فالمعلّم الذي يتبع نهج الشورى يسمع طلابه ليحدّد احتياجاتهم. يسمح هذا المعلّم لطلّابه بأن يعبروا عن أفكارهم كجزء من عملية التعلّم. وهذا الأمر مقبول ثقافياً وفاعلاً تعليمياً وتربوياً. إعطاء المتعلّم البالغ وتجاربه قيمة أمر مهمّ لتحقيق تعلّم ناجح عند البالغين الكبار. وضع أهداف للمنهاج وطرق تعليمه بناءً على احتياجات الطلاب وآرائهم يربط بين المبادئ الملائمة ثقافياً والفاعلة تعليمياً وتربوياً. نرى هنا أنّه يمكن استخدام وسيلة فاعلة في التعليم بطريقة ملائمة ثقافياً.

الشورى والجماعية

يمكن للرغبة بحماية تماسك المجموعة أن تؤثر بتعامل المعلّم مع الطلاب من خلال المشاركة المتمحورة حول الطالب. "ينبغي الحفاظ على التناغم الرسمي الشكلي في الأوضاع الدراسية التعلّمية في كل الأوقات" (Wursten and Jacobs, 9, 2016). ومع هذا، فإن التعليم المثمر يتطلب سدّ احتياجات جماعية عند الطلاب من أجل تحقيق التوازن مع كون المعلّم المرجعية وصاحب السلطة.

فكرة التعليم المبني على الشورى تحترم القيمة الثقافية للمعلّم باعتباره مرجعيةً وصاحب سلطة. كما يمكن أن تشمل فكرة إشراك المعلّمين للطلاب (الأتباع) في عملية التعليم. يسعى المعلّم - المرجعية إلى سدّ احتياجات طلابه - أتباعه وحمايتهم. وينبغي للطلاب أن يحترموا قائدهم. وكما قلنا سابقاً، فإنّه ينبغي الحفاظ على حالة من التوازن بين إعطاء

الأفكار التي تخرج بها المجموعة من جهة والأفكار التي يوصلها المعلم - المرجعية من جهة أخرى. والحفاظ على توازنٍ سليم وصحّي بين هذين الأمرين أمرٌ بالغ الأهمية في تطوير نموذج دراسي تعلّمي ملائم ثقافياً. خلفية الطلاب والمعلّمين في ثقافة متمحورة حول الشورى تعطي المجال للمعلّم لأن يبادر في أنشطة دراسية تعلّمية نافعة لطلابه (أتباعه). يخلق هذا نوعاً من التوازن الذي ينبغي توجيهه وإدارته. وهذا التوازن قائم بين الحقّ الذي يأتي من المعلّم والحقّ الذي اكتشفه الطلاب أنفسهم (في مجموعات). ويمكن الاستفادة من هذا التوازن من أجل تعزيز ممارسات تعليمية مثمرة للمتعلمين البالغين الكبار.

التوازن بين:

الحقّ الذي يُستقى من مرجعية → الحقّ الذي يكتشفه الطلاب

النهج الأكثر تعاونيةً (الشورى) في التعليم والتدريب يعتمد على الطبيعة الجماعية عند المتعلّم العربي. فمثلاً، إتمام العمل في مجموعات صغيرة، وهو أمر يساعد الطلاب في تنمية التفكير النقدي والتفكير المنطقي، أمرٌ تتجذب إليه الطبيعة الجماعية التي يتّصف العرب بها.

حين يعمل المتعلّمون في مجموعات، من الحكمة أن تُقدّم هذه المجموعات تقريراً بشأن ما استنتجته وخلصت إليه. ومع أن المجموعة ستعلن ما استنتجته وخلصت إليه، فإن الأفراد أعضاء تلك المجموعة يشعرون أنّهم جزءٌ من تلك الاستنتاجات والخلاصات. يُشجّع الطلاب على التفكير والمساهمة في العملية. وهذا يسمح بأن يعبروا عن أفكارهم وما خلصوا إليه من استدلالات واستنتاجات. كما أنّه يربط الاستنتاج بالمجموعة، وليس بالضرورة بالفرد. فبسبب توحّد الأفراد بالمجموعة، فإنّهم يتوحدون بنتيجة عمل المجموعة، إذ يرون أنّهم شركاء في ما توصّلت إليه المجموعة من استنتاجات وخلاصات.

من أجل الحفاظ على توازن هذا الموقف، وللحفاظ على الموقف القائل بكون المعلّم مرجعيةً، يكون مفيداً أن يختم المعلّم الجلسة الدراسية التعلّمية للمجموعات الصغيرة بتلخيص وتعريف وتحديد الاستنتاجات والخلاصات الصائبة. فالمعلّم،

بصفته مرجعيةً وصاحب سلطة، يقدّم الهيكلية التي اعتاد الطلاب عليها، ممّا يقلّل الغموض المتزايد بسبب المجموعات الصغيرة المتمحورة حول الطلاب أكثر مما هو حول المعلمين. المجموعات الصغيرة، ودراسة الحالات، والنقاشات الصفية، والأنشطة الدراسية التعليمية غير المنظمة الأخرى كلها أدوات مهمة وضرورية لتنمية مهارات التفكير النقدي والتفكير المنطقي.

الشورى من الناحية العملية وتجنّب المجهول وعدم اليقين

بالنسبة للطلاب الذي لم يسبق أن تعرّضوا لنوع التعليم الذين نقترحه، يمكن أن يكون قبول هذا النوع بطيئاً بسبب الدرجة المنخفضة في مؤشر تقبل الغموض وعدم اليقين عندهم، وبسبب التوقعات التي لديهم بشأن ما هو التعليم الجيد. ومن أجل معالجة هذا الأمر، فإن أشكالاً جديدة من التعليم "ينبغي أن تظهر في صياغات ولغة ثقافية ودينية يمكن فهمها وقبولها عميقاً في البلدان العربية" (Samier 2013, 204). "لذا، يصعب إدخال التغيير، لا في المدارس فحسب، بل ولقيادة الطالب أو الطلاب إلى منهجيات دراسية تعليمية فاعلة أيضاً" (Sidani and Thornberry 2009, 42). بالنسبة لمعلمين كثيرين، يصعب استخدام التقنيات والأساليب التعليمية الحديثة مع طلاب اعتادوا على الإجراءات التأديبية الصارمة في عائلاتهم ومدارسهم.

ينبغي وضع سمات الطلاب الثقافية في الاعتبار حين يتم تقديم منهجيات تعليمية وتدريبية جديدة. ومع هذا، فإنّه لغرض التعليم والتدريب بفاعلية، ينبغي أن يتمّ تحدّي هذه السمات الثقافية والبناء عليها. ولعمل هذا، علينا أن نوازن ما بين الحاجة لهيكلية بسبب الدرجة العالية في مؤشر تجنّب المجهول وغير اليقين، وهو أمر تتّسم به الثقافة العربية، والحاجة لتقديم وإدخال أنشطة دراسية تعليمية أقل هيكلية.

التوازن بين:

المجهول الغامض ← الهيكلية

إن أُجريت أية تغييرات، فإن ثمة أمور ونواحٍ تتعرّض للخطر، أهمها دور المعلم، ودور الطالب، وهدف التعليم وكيفية حصول التعليم، وهدف التعلّم، ومصدر الحقّ أو الحقائق، إذ تحدّي هذه التوقّعات صعب في ثقافة تميل إلى تجنّب الغامض المجهول وعدم اليقين.

الطالب المنتمي إلى مجتمع جماعي ذي درجة عالية في مؤشّر مسافة السلطة يتوقّع أن يكون معلّمه المرجعية. كما أنّه يتوقّع أسلوب قيادة الشورى، إذ هم معتادون على أن يدلّوا برأيهم من أجل أخذ القرارات. ينبغي أن يكون إدخال النقاش ذي طابع الشورى وأنشطة المجموعات فاعلاً. والاهتمام بناحية تجنّب المجهول وعدم اليقين عند الطالب يساعدنا في معرفة كيف يمكننا أن نقدّم هذه الممارسات الدراسية التعليمية الجديدة إلى مجتمعنا والسّعة التي بها نقدّمها وندخلها. في إدخال التغييرات في الممارسات الدراسية التعليمية، يجب وضع الطالب وما هو الأفضل له في الاعتبار. هذا يتوافق مع نهج الشورى في القيادة. فبتذكّرنا أن الطلاب جزءٌ من ثقافة تتسم بكونها ذات درجة منخفضة في تقبلها المجهول وعدم اليقين، ينبغي إدخال التغيير بحكمة. ويمكن تقليل الغموض الناتج عن استخدام منهجيات دراسية تعليمية جديدة وذلك بشرح الأنشطة التعلّمية، وإدخال هذه الأنشطة ببطء، وإظهار النتائج (القدرة الأفضل في قيادة الآخرين، تحسّن العلاقات، الحصول على وظيفة، وغيرها) المتوقّعة لهذه الأنشطة عند الطّلاب. يحتاج المعلّمون لأن يجدوا طريقة يشجّعون بها التفكير التجريدي ويطوّرونه من أجل مساعدة الطلاب في أن يكونوا باحثين عن الإجابات، لا مُتلّقين لها فقط. يتم هذا في الطبيعة السياقية العالية التي تتّصف بها الثقافة العربية، والتي تشدّد على التعلّم المُنظّم بهيكلية واضحة.

معنى كون الطلاب من ثقافة ذات درجة عالية في تجنّب المجهول وعدم اليقين هو أنّهم يفضّلون وجود هيكلية واضحة في الغرفة الصفية. وهذا يشمل سلطة المعلم والأسلوب التعليمي الذي يتّبعه المعلّم. يفضّل الطلاب الواجبات المُنظمة والواضحة المعالم (Hitt 2014, 13-15; Prowse 2010, 39). هذا يعني وجود تعليمات دقيقة وواجبات مُفصّلة واضحة (Wursten and Jacobs 2016, 11). لهذا نتأثّر به وتأثراته على كيفية استخدام عمل المجموعة كنهج دراسي

تعليمي. فإن لم يكن المعلم يسيطر على العملية، فقد يخلق هذا نوعاً من عدم اليقين عند الطلاب. قد لا يتقنون بما يُقال أو لا يعطون عملية الدراسة والتعلم قيمةً كما تستحق.

الطلاب الذي ينحدرون من مجتمع يتّصف بالجماعية وبدرجة عالية في مؤشّر مسافة السلطة يتوقّعون أن يكون معلّمهم المرجعية. كما أنّهم يتوقّعون نهج قيادة الشورى، حيث هم معتادون على أن يكون لهم رأي في القرارات التي تُؤخذ. ولذا، يُفترض وينبغي أن يكون إدخال النقاش بنهج الشورى وأنشطة المجموعة فاعلاً. وأخذنا لحقيقة ميل الطلاب إلى تجنّب المجهول وعدم اليقين في الحسبان يساعدنا في معرفته كيف نُدخل هذه الممارسات الدراسية التعليمية الجديدة والسُرعة التي بها نُدخلها.

الشورى والتفكير ذي السياق العالي/ الحسي الملموس

أرانا يوسف صيداني أهمية التفكير النقدي، حيث يساعد الطلاب في التفكير بإطار مفاهيمي، وفي تطبيق المفاهيم على أوضاع مختلفة. هذا جزء من التعلم العميق، الذي هو هدفنا.

رأينا سابقاً أن التفكير الغربي يميل لكون أكثر تجريدية، بينما يتمّ التفكير العربي بطرق أكثر حسيّة. لكلا هذين النهجين إيجابياته وحسناته في التعلم، وينبغي استخدامهما في تعليمنا. يساعد التفكير التجريدي في تعلم مبدأ ما وكيفية تطبيقه في الأوضاع المختلفة. ومع هذا، فإنّ هذا المبدأ يمكن أن يكون نظرياً ولا ينطبق على أوضاع الحياة الواقعية والحقيقية. أما التفكير الحسيّ فعملي ويمكن تطبيقه في أوضاع محدّدة. ومع أنه نمط يعالج ظروفاً محدّدة، فقد يكون أحياناً متمحوراً حول المشكلات والقضايا، ولا ينظر إلى كيفية تطبيق المبادئ في الأوضاع المختلفة.

كما رأينا، فإن التفكير ذا السياق العالي يميل إلى كونه عملياً، فهو يرتبط بتجارب الحياة الواقعية. وهذا يتوافق بصورة جيّدة مع مبادئ تعلم البالغين الكبار التي درسناها، والتي تشمل التجربة باعتبارها جزءاً قيماً من عملية التعلم. هذا جزء طبيعي من الثقافة العربية، وهو نقطة قوية يمكن البناء عليها.

في دورة التعلّم عند كولب، الصياغة التجريدية للمفاهيم جزء مهم من عملية التعلّم. ومع أنّ هذا الأمر ليس سمة رئيسية في الثقافة العربية، فإنّه مفتاح مهمّ بشأن الطريقة التي يتعلّم بها البالغون الكبار. ولذا، فإن مفاهيم التعليم وكيفية تطبيقها في الأوضاع المختلفة تساعد القادة الرعاة في تطبيق تدريبهم في الأوضاع الحياتية المختلفة. هذا تعلّم عميق في حياة القادة الرعاة.

التوازن بين:

التفكير الحسي → التفكير المفاهيمي التجريدي

التوازن بين التعليم الحسي، الذي هو تعليم عملي، ومنهجيات التعليم التي تشجّع مهارات التفكير المنطقي والنقدي، يستفيد من نقاط قوة كلا النهجين. هدفنا هو التطبيق الفعلي لتعليمنا وتدريبنا. ولعمل هذا الأمر، علينا أن نستخدم بعض التعليم ذي الطبيعة المفاهيمية التجريدية. وبموازنتنا بين هذين الأمرين، سنرى تغييراً حقيقياً في الذين ندرّبهم وفي قدرتهم على تطبيق ما يتعلّمونه في أوضاعٍ حياتية حسيّة وواقعية.